ASJP
Algerian Scientific Journal Platform

المجلة التاريخية الجزائرية

ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664

المجلد:05، العدد:01 (2021)، ص462-477

أوّل مفتش عام لمصلحة المباني المدنية بالجزائر "شارل تيكسييه" (1845-1853م) وأبرز إنجازاته في مجال حفظ التّراث الأثري وتثمينه

The first inspector general of civil buildings in Algeria Mr. CHARLES TEXIER (1845-1853) and his most outstanding achievements in the field of preserving and valuing the archaeological heritage

شفيقة بوعرعور
جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)
bouarourchafika@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2021/05/18
تاريخ القبول:
2021/06/01

الكلمات المفتاحية:
- ✓ التراث الأثري
- ✓ المفتش العام
- ✓ المباني المدنية

الملخص:

يتناول موضوع المقال، أوّل شخصية حملت منصب المفتش العام للمباني المدنية "شارل تيكسييه" المكلف بحفظ المعالم التاريخية والمواقع الأثرية في الجزائر، وأبرز انجازاته في إطار عمله ما بين (1845-1853م)، ومساعيه للدفاع عن الآثار الجزائرية بمختلف تحقيباتها، رغم إملاءات المسؤولين العسكريين ونظرتهم الانتقائية. تمحورت مباحثه الفرعية حول خمس نقاط رئيسية: بدءً بالتعريف بالشخصية، والظروف التاريخية المحيطة بقدومها إلى الجزائر؛ انتقالا إلى المهام المسندة إليه بمقتضى القرار الوزاري الصادر من طرف وزارة الحرب، مرورا بدوره في رد الاعتبار إلى الآثار الجزائرية، وانتهاءً بأثر مهمته على مصير التّراث الأثري الجزائري.

Article info

Received:
18/05/2021
Accepted:
01/06/2021

Key words:
- ✓ Archaeological heritage
- ✓ the inspector general
- ✓ civil buildings

Abstract:

The article deals with the works of the first person to hold the position of Inspector General of Civil Buildings, Mr. Texier in charge of the preservation of historical monuments in Algeria, and his work between (1845-1853) his quest to defend the archaeological heritage, despite the restrictions imposed on him by the military officials; This article revolves five points: starting with the presentation of this personality, and the missions assigned to him by the Ministry of War, ending with the impact of his mission on the issue of the Algerian archaeological heritage

أوّل مفتش عام لمصلحة المباني المدنية بالجزائر "شارل تيكسييه" (1845-1853م)

مقدمة

تأسست "**مصلحة المباني المدنية بالجزائر**" سنة 1843م، كفرع متخصص في مجال صيانة وتثمين المعالم التّاريخية، والمواقع الأثرية الجزائرية ضمن سلاح الهندسة العسكرية في صفوف قوّات الاحتلال الفرنسي 1830-1962م. وذلك كاستجابة مباشرة للضّغط المتواصل عن إدارة الاحتلال من قِبَل الباحثين، والأكاديميات، والجمعيات العلمية الغربية المناهضة لإتلاف التّراث الأثري الجزائري في سبيل إقامة مشاريع جديدة للإيواء فيالق ومجموعات قوّات هذا الاحتلال، حيث تمّ تعيين الأثري "**شارل تيكسييه**" بإيعاز من أولئك المناهضين للسّياسة الاستعمارية المنتهجة في حقّ التّراث الأثري الجزائري آنذاك، وفي مقدمتهم "الجمعية الفرنسية للآثار [1] بباريس على رأس هذه المصلحة الفتية، ابتداء من سنة 1845م، واستمراره في ذلك المنصب إلى غاية سنة 1853م، تاريخ الشّروع في إعادة هيكلة إدارة التّراث الأثري الجزائري على نحوٍّ جديدٍ، خارجٍ عن اهتمامات موضوع هذا البحث وأهدافه. وعليه يمكن إثارة الإشكالية الآتية: **ما هي دوافع هذا التّغيير المفاجئ في سياسة الاحتلال الفرنسي تجاه التّراث الأثري الجزائري بعد مضيّ عقد من الزّمن عن تاريخ هذا الاحتلال؟ وإلى أيّ مدى كان توفيق عالم الآثار "شارل تيكسييه" في تحقيق الغايات المرجوة من بعثته إلى الجزائر؟**

1. التعريف بشخصية شارل تيكسييه

هو "**شارل فيليكس ماري تيكسييه**" (CHARLES FELIX MARIE TEXIER) (1802-1871م، مهندس معماري محترف، وأثري متمرّس، ولد في بلدية "فرساي" بالضّاحية الجنوبية من العاصمة الفرنسية باريس، حيث التحق بمدرسة الفنون الجميلة هناك في باريس سنة 1823م، كما تدرب في ورشة أستاذه "**فرانسوا دوبري**" (FRANÇOIS DEBRET). وبعد إنهاء دراسته تم تعيينه كمهندس للأشغال العمومية ابتداءً من سنة (1827م). وفي السّنة الموالية أجرى حفريات أثرية بكلّ من مدينة "**فريجيس**" (FREJUS) جنوبي غرب فرنسا، ومدينة "أوستي" (OSTIE) قرب العاصمة الايطالية روما (1828- 1829م). ممّا مكّنه من اكتساب خبرة ميدانية في مجال التّنقيب الأثري.

وبعد ذلك كلّفه وزير الدّاخلية الفرنسي للقيام بأشغال ترميم معلم قوس النّصر التّذكاري في مدينة "**رايمس**" (REIMS) شمالي شرق فرنسا، حيث أرفقه بتأليف ونشر كتاب حول هذا المعلم، وآثار تلك المدينة الفرنسية العريقة. وإلى جانب هذه المهام بفرنسا وإيطاليا المجاورة، كانت له مهام علمية أخرى بالمشرق لفائدة "أكاديمية الكتابات والآداب الجميلة"، حيث حالفه الحظّ في تحقيق اكتشافات معمارية مهمّة. وقد كانت أولى تلك البعثات موجهة نحو آسيا الصغرى (تركيا الحالية) في عام (1833م) لاستكشاف مواقع آثار حضاراتها القديمة، حيث تمكن في العام الموالي (1834م) من اكتشاف آثار العاصمة الحثّية القديمة. وبعد عودته إلى فرنسا سنة (1837م)، عرض نتائج اكتشافاته على الأكاديمية، قبل نشرها بين عامي (1839-1849م) في

مجلدين بعنوان: "**وصف آسيا الصّغرى**" (Description de l'Asie Mineure)، وذلك بأمر من الحكومة الفرنسية.

بعدها شارك في رحلة استكشافية أخرى قادته إلى كلّ من أرمينيا، وإيران، والعراق سنة (1839م)، حيث أنجز العديد من الرّسوم ومخططات المدن الأثرية القديمة، وجمع معلومات كثيرة، دعمّت معرفته الشّخصية بمعالم حضارات المشرق القديم. وكالعادة فور عودته من هناك إلى فرنسا، بادر إلى نشر نتائج اكتشافاته الأثرية في كتاب يقع في ثلاث مجلّدات كاملة بين سنتي (1842–1849م)، موسوم بـ: "**وصف أرمينيا وفارس وبلاد ما بين النّهرين**" (Description de l'Arménie, la Perse et la Mésopotamie). مؤكّدا بذلك كفاءته العالية كمهندس معماري محترف، وباحث آثار متمرس.

في سنة (1840م) تم تعيينه كنائب أستاذ في مادة الآثار بمدرسة ثانوية في فرنسا[2]؛ وبعدها تولى مهمة، أثرية جديدة إلى بلاد اليونان، وتحديدا إلى مدينة "**منيسا**" قصد جلب المنحوتات الرّخامية من معبد اليونان "**آرتيميس**"، لإثراء المجموعات المتحفية الباريسية بين شهري سبتمبر 1842 وأبريل1843م[3]. وفي هذه سنة (1843م) تولى منصب المفوض الملكي للفنون الجميلة، قبل أن يعينه وزير الحرب بين سنتي (1845–1853م) في منصب المفتش العام للمباني المدنية بالجزائر، مكلّفا بحفظ المعالم التّاريخية الجزائرية؛ حيث كان من آثاره العلمية في هذا المقام نشر عدّة تقارير حول الآثار الجزائرية مدعّمة برسومات ومخططات من إنجازه الخاص، تمّ نشر بعضها في دوريات فرنسية متخصصة بشكل كامل، أو بشكل جزئي (مقتطفات)، فيما بقي بعضها الآخر مخطوطا إلى يومنا هذا[4].

2. الظّروف التّاريخية المحيطة بقدوم "شارل تيكسييه" إلى الجزائر

اعتادت "**الجمعية الفرنسية للآثار**" بوصفها أعلى هيئة رسمية فرنسية تسهر على ترقية التّراث الأثري وتثمينه عبر التّراب الفرنسي منذ سنة (1841م) على إرسال عضوٍّ من أعضائها للجزائر، ألا وهو السّيد "**شارل أندري دو بري**" (CHARLES ANDRE DE BRIX) (1802–1873م)[5] لتفقد ومعاينة حالة المعالم التّاريخية هناك بوصفها مقاطعة فرنسية منذ عام (1834م)[6]، وموافاتها بتقارير دقيقة عن ذلك، حتى تتمكن الجمعية من اتخاذ الإجراءات الضّرورية لحمايتها.

ولم يتأخرّ هذا المفتش الفرعي عن استنكار الحالة المزرية التّي آلت إليها المعالم والمواقع الأثرية بفعل معاول سلاح الهندسة العسكرية الفرنسية في أوّل زيارة استطلاعية له، حيث قام بإعداد تقرير موسوم بـ: "**عناية الجمعية بحفظ آثارها القديمة في الجزائر**" «Soin de la société pour la conservation de ses débris antique en Algérie»، نُشِر في دورية "**نشرة المعالم**" (BULLETIN MONUMENTALE)، بيّن فيه توظّيف الآثار والتّحف الفنّية القديمة في المنشآت الحديثة، واشتراكه مع محافظ مكتبة متحف مدينة الجزائر "**أدريان بربروغر**" (ADRIEN BEBRUGGER) على اتخاذ الإجراءات اللازمة للتّكفل بالبقايا الأثرية التّي تُحطم بشكل يومي في الجزائر[7].

أوّل مفتش عام لمصلحة المباني المدنية بالجزائر "شارل تيكسييه" (1845-1853م)

ومهما كان الأمر، فقد جاء قرار استحداث منصب "**المفتش العام للمباني المدنية بالجزائر**" في ضوء توجيهات رسالة وزير الحرب "**جون دو ديو سول JEAN DE-DIEU-SOULT**"، المؤرّخة في 29 نوفمبر 1843 إلى المشير "**بيجو BUGEAUD**"، حيث أمره فيها بسنّ قوانين تحمي الآثار الجزائرية من مختلف أشكال الاعتداء والتّشويه، وتعيين مصالح إدارية وموظفين لضمان شروط حفظها[8]، لاسيما بعد انتهاء عمل بعثة الاستكشاف العلمي في الجزائر المنظمة ما بين سنتي (1840-1845م)[9]؛ وما نجم عنها من اكتشافات أثرية هائلة، كما جسدتها أعمال النّقيب "**أدولف دولامار ADOLPHE DELAMARE**"؛ وأعمال زميله المهندس المدني "**أمابل رافوازيي AMABLE RAVOISIE**"، المنشورة في فرنسا بين سنتي (1846 - 1850م).

إذ كانت أعمال هذا الأخير موضوع نقاش جلسة "**لجنة المعالم التاريخي**ة" المؤرخة في الفاتح يوليو (1845م) بحضور نخبة من الشخصيات الفنية والأدبية الفرنسية، قصد اتخاذها كقاعدة أوّلية لتصنيف المعالم التّاريخية بالجزائر. كما عينت ذات اللّجنة بتلك الجلسة دائما المهندس المعماري "**تيكسييه**" في منصب "**المفتش العام للمباني المدنية بالجزائر**"[10]؛ بينما اكتفى المهندس المعماري "**رافوازيي**" بمنصب العضوية في اللّجنة بدل تقلّد هذا المنصب الجديد بفعل الوعكة الصّحية التّي ألمت به فجأة في الجزائر، والتّي كان مصدرها صعوبة تأقلمه مع المناخ، حيث اضطر إلى توقيف عمله الميداني صائفة (1842م)، والعودة مسرعا إلى باريس، قبل إنهاء برنامج مشروع البعثة، المحدد سلفا بسنة (1845م).

بينما حاول العسكريون الفرنسيون في الجزائر تبرير ضغط الهيئات العلمية عليهم، القاضي بضرورة استحداث منصب المفتش العام للمباني المدنية بالجزائر سنة (1845م) ، كضرورة تقنية فحسب؛ ومردّ ذلك حسب طرحهم، أنّهم في غياب مهندس محترف يتكفل بالمعالم التاريخية والمواقع الأثرية، أسندت المهمة للمهندسين المدنيين التّابعين لمصلحة الجسور والطرقات؛ ونظرائهم في مصلحة أشغال الاستيطان، كما هو الحال عليه مع حفظ وإدارة مجموعة القطع الأثرية المحفوظة بمتحف مستوطنة "**فيلب فيل**" (سكيكدة)، حيث كانت برعاية مصلحة المباني المدنية[11].

فرغم اجتهاد هؤلاء المهندسين للتّكفل الأمثل بالتراث الأثري، إلاّ أنّ فقدانها للتّكوين المتخصص في هذا المجال جاءت الحاجة إلى الاستعانة بشخص يمتلك تلك المواصفات، يُقترح من طرف أخصائيين في فرنسا ووزارة الحرب للاهتمام بالآثار والمعالم التاريخية في الجزائر. وبذلك جاء إعلان وزير الحرب في 12 اكتوبر 1845 عن استحداث منصب "**المفتش العام للمباني المدنية بالجزائر**"، وتعيين المهندس المعماري "**تيكسييه**" في ذلك المنصب طيلة تسع سنوات تقريبا[12].

3. المهام المسندة لشارل تيكسييه بالجزائر

تمّ تحديد وضبط مهام "**المفتش العام للمباني المدنية**" في الجزائر بموجب القرار الوزاري، الصّادر عن وزارة الحرب في 27 يناير 1846[13]، حيث أُسندت إليه مهمة توثيق المعالم التاريخية والمواقع الأثري،

وتخصيصها بوصف وافٍ، وجرد دقيق؛ واقتراح المعايير اللازمة لضمان حمايتها؛ وتدعيم مقتنيات المتاحف المحلية بمقتنيات جديدة، والتّبليغ عن التّنقيبات الأثرية؛ ومراقبة أشغال البناء والترميم في البنايات العامة؛ واستكشاف الآثار في الجزائر عن طريق القيام بجولات تفتيشية في المقاطعات الثلاث بمعدّل جولتين في السّنة قصد انتقاء المعالم التي تتطلب الصيانة والترميم؛ ليقوم في إثر ذلك بتحرير تقرير سنوي، يرفعه إلى الوزير الوصي (أي وزير الحرب)[14]؛ كما تخضع الأشغال المنجزة على المباني الدينية هي الأخرى لفحصٍ من المفتش العام، وكذا تقديراته واقتراحاته حول تكاليفها[15]. أي بالمختصر المفيد هي مهام عديدة ومرهقة جدّا في مثل تلك الظّروف التّاريخية لشخص بمفرده مهما كانت كفاءته المهنية، ودرجة تفانيه في عمله.

وقد ظل المفتش العام "**تيكسييه**" في منصبه إلى غاية نهاية شهر يناير (1848م)، حيث اضطرّ للتّوقف عن العمل بسبب الثّورة الدّاخلية الفرنسية التي أسقطت الملك "**لويس فيليب**" (1830 – 1848م)، ابتداءً من الشهر الموالي، وامتناع الإدارة العسكرية عن تمويل جولاته التفتيشية المعهودة برسم سنة (1848م). إذ لم يستعيد ذلك التمويل إلاّ في شهر سبتمبر (1849م) بقرار من وزير الحرب الجديد الجنرال "**روليار**" (RELLIERE). وهو ما مكنه من متابعة مهامه إلى غاية سنة (1853م)، تاريخ استدعائه إلى مهام جديدة بفرنسا[16]، وبداية هيكلة جديدة لإدارة التّراث الأثري الجزائر كما سلفت الإشارة من قبل.

4. دور شارل تيكسييه في محاولة ردّ الاعتبار للتّراث الأثري الجزائري

في بداية الاحتلال؛ حماية التراث الأثري الجزائري كانت من بين مهام الجيش، ويستحيل منع وزارة الحرب المهتمة بالجوانب المادية والدراسات التاريخية وإحصاء المعالم القديمة من هذا المشروع العسكري، كما أن الميزانية المالية المخصصة لسنة (1848م) تسمح لإدارة الاحتلال بتوفير الوسائل الضرورية لترميم المعالم التاريخية المهددة بالانهيار؛ إضافة إلى الجولات التفتيشية التي قام بها المفتش العام "**تيكسييه**" في المقاطعات الثلاث ما بين سنة (1847–1846م) قدمت صورة عن حالة المعالم الرومانية، والمعالم التي تحتاج إلى ترميم استعجالي. أرسل المفتش العام "**تيكسييه**" العديد من التقارير إلى وزير الحرب، وأكاديمية الكتابات والآداب الجميلة على علم بها وبكل الأشغال المقامة في الجزائر؛ ما مجموعه خمس مقالات[17]نشرها المفتش العام في "**المجلة الأثرية**" سنوات (1847، 1848، 1849، 1852) على التوالي، تتعلق بالمعالم الأثرية في مقاطعة الجزائر وخاصة مقاطعة قسنطينة، ويختلف محتواها من واحد لآخر، لكنها لا تخرج عن اهتمامات وزارة الحرب. كتب تقاريره أثناء العمل الإحصائي الذي قام به أثناء جولاته التفتيشية بالجزائر؛ الأول قُرأ جزء منه في جلسة لجنة أكاديمية الكتابات والآداب الجميلة، ونشر ملخصه في المجلد الثاني من "**المجلة الأثرية**" لسنة (1847م) بعنوان: "**مقتطف من لمحة إحصائية عن آثار الجزائر**" (Extrait d’un aperçu statistique des monuments de l’Algérie)[18]، أعده بعد قيامه بجولة رفقة عميد البحرية "**ريغوديت**" (RIGODIT) في شهر أغشت1846؛ عرض فيه حالة المعالم التاريخية في مقاطعة الجزائر، وقسنطينة، جبل شنوة (الضريح الموريتاني)، تافساد، شرشال، سكيكدة (فيليب فيل) .

أوّل مفتش عام لمصلحة المباني المدنية بالجزائر "شارل تيكسييه" (1845-1853م)

بموجب أوامر وزير الحرب، اهتم فقط بالآثار الرومانية، وقيمتها التاريخية وعائداتها الايجابية لتقدم الاحتلال الفرنسي، حيث أعطى وصفا جغرافيا دقيقا لاماكن تواجدها، مستندا إلى الكتب القديمة، وفي الأخير يضع ملاحظاته الخاصة حول الحفريات أو أشغال الترميم اللازمة. تطرق في بداية تقريره إلى دور مصلحة الهندسة العسكرية ومساهمتها في جمع الكتابات القديمة، والى دور المصالح الإدارية في نقلها إلى المتاحف المحلية القريبة منها وحمايتها من خطر التكسير أو إعادة استخدامها في مباني جديدة مثل ما هو الحال في المستوطنة الجديدة "**فيليب فيل**" (سكيكدة)، "**شرشال**"، "**قالمة**"؛ وتأسف كثيرا للآثار المدمرة من جهة، لكنه أكد على وجود الكثير منها تحت الأنقاض ووجوب استخراجها، مُثمناً الدور الذي تؤديه في السياحة :"**الآثار التي تزخر بها الجزائر تستقطب المسافرين من أوروبا**"؛ كما حثّ على ضرورة تبنّي الحكومة الفرنسية نصا تشريعيًا يخوّل لها امتلاك تلك الآثار المكتشفة عرضًا، والآثار المدفونة في باطن الأرض.

تعليمات وزير الحرب تُعارض بشكل عام تدمير الآثار القديمة، لكن المفتش العام "**تيكسييه**" حدد تدابير دقيقة، كأن تكون الإدارة على علم بالحفريات والاستكشافات التي تسفرها الأشغال العمومية (الطرق)، وأن ترسل رسام إلى موقع الاستكشاف لنسخ البقايا الأثرية حتى تتمكن المصالح من اتخاذ قرارات الحفظ، وبهذا تكون سجلات موثقة عن كل البقايا الأثرية حتى في حالة ما إذا تم تدمير ها، فجميع مواصفاتها محفوظة في سجل علمي. قدم "**تيكسييه**" عينة من إحصاء الآثار القديمة في الجزائر، بدأه بـ"**جبل شنوة**" (الضريح الموريتاني) في مدينة شرشال، ثم موقع "**تافساد**" الذي اقترح فيه مشروع حفرية في قاعة المسرح القديم، وفي مدينة "**فيليب فيل**" (سكيكدة) أسهب في وصف خزانات المياه الرومانية، والمسرح الروماني، والحالة المزرية للتماثيل المندثرة، وكذا الأضرحة الرخامية ذات النمط المسيحي؛ وأنهى مقاله بالحديث عن مدينة قسنطينة، حيث ذكر ابرز معالمها (القصبة، الخزانات، القصر، الثكنة) ومسارها التاريخي، والإضافات التي طرأت عليها في العصور القديمة مثل الترميم الذي قام به الرومان والعرب من بعدهم في العصور الوسطى، مُعتبرًا أن ابرز المعالم التي تميز المدينة هو نظام القناطر والمجاري المائية، واقتراح في الأخير تنظيفها وإعادة إصلاحها، في الأخير اقترح حلولا تقنية تفيد في تنمية المدن بما أن الاحتلال الفرنسي حسبه انه جاء في مهمة حضارية، ولا يمكن تحقيقها إلا بالرجوع إلى انجازات الرومان.

تجدر الإشارة أن المفتش العام "**تيكسييه**" نشر مقتطف من بضعة أسطر بخصوص تمثال عُثِر عليه في مدينة شرشال، تم إيداعه في ساحة فندق مصلحة المباني المدنية، وقدم "**تيكسييه**" رسم توضيحي ووصف له في معرض التقرير السابق (1847م)، مشبهاً إياه بالفن الأسيوي؛ في نفس السنة (المجلد الثاني 1847) خصته المجلة الأثرية بشرح موجز عن أصله حسب الأثاري "**دو سولسي**"(FELICIEN DE SAULCY) (1807-1880) الذي نسبه للإله الفينيقي"**اشمون**" أو "**اسمون**"[19].

مقاله الثاني نشره في المجلد الثالث 1847، وخص به "**الضريح الموريتاني**" في مدينة شرشال، حدد فيه موقع الجبل جغرافيا، مشيرا إلى ضرورة إزاحة الأتربة المتراكمة حوله من اجل الوصول إلى الغرفة الجنائزية

للضريح، مدعماً ذلك برسم للضريح قبل وبعد إزاحة الأتربة. لكن ما أثار انتباهه هي التماثيل المنحوتة وأعمدة الرخام التي جمعت من طرف المصالح الإدارية في قاعة مشكلةً متحف محلي في المدينة. التقرير الثالث هو حصيلة جولة تفتيشية أيضا في مقاطعة قسنطينة إلى الحاكم العام بالجزائر الدوق "**دومال**"، بعنوان: "**اكتشاف مقاطعة قسنطينة والزيبان**" (Exploration de la province de CONSTANTINE et des ZIBANS)، وراسل المفتش العام "**المجلة الأثرية**" لسنة (1849م) بملخص لنشره[20].

عرض مساره الجغرافي بواسطة بوصلة لتحديد الأماكن على الخريطة وتسهيل عملية تصنيف[21] المعالم التاريخية مع تعريف شامل للمنشآت القديمة؛ وحتى يحصل على إحصاء وافٍ اقترح مسار متعدد الاتجاهات "**موريتانيا السطايفية، سيقوس وسرتا**"؛ شملت الخريطة المناطق الواقعة بين مدينة قسنطينة وبسكرة، إلا أن الجزء الأكبر كان جبال البيبان (برج بوعريريج)، الحضنة، (البويرة) إلى غاية المدية، مُقدراً المسافات والوقت المستغرق بين النقاط الرئيسية في المقاطعة معتمدا على معلومات من مصلحة الهندسة العسكرية.

وصف المعالم الرومانية، وكذا الضريح النوميدي "**المدغاسن**" ومواصفاته الهندسية مُشبها إياه بالأهرامات المصرية؛ أما ما شد انتباهه هو مسجد "عقبة بن نافع" الواقع في واحة "**سيدي عقبة**" (الشكل 01)؛ وجد "**تيكسييه**" في المسجد نمط جديد من الهندسة المعمارية غير معروف لدى الغرب، ومختلف عن نمط المساجد في الشمال ما دفعه لوصف مواد البناء ومدى تناسبها مع المناخ الصحراوي، ووضع له رفع معماري ومخطط ورسوم وعدة مقاطع، وهي أول سابقة في تقرير للمفتش العام للمباني المدنية يعرض شكلا هندسيا مغايرا لما تقدمه المعالم الرومانية؛ لا يخفى علينا أن الاهتمام الذي أولاه إلى الهندسة الشرقية نابع من المهمات العلمية التي قام بها في تركيا واسيا الصغرى[22]، عادة ما يضيف ملاحظات خاصة بالهندسة الإسلامية وزخرفتها، وينبه إدارة الاحتلال إلى أعمال التخريب والتحطيم التي تتسبب في اندثار المنازل المورسكية ذات الأهمية العلمية والفنية، ودائما ما يحرض وزير الحرب إلى إصدار تشريعات وزارية تقضي بحماية المعالم التاريخية وتطبيق قوانين خاصة بأعمال التنقيب تتشابه مع تلك المطبقة في فرنسا. في نهاية تقريره كتب حصيلة عمله والمتمثلة في حوالي 60 رسم ومخطط، ومناظر وتفاصيل للمباني، التي سيوافي الحاكم العام بها عند فرزها. صحيح أنه قدم إحصاء منهجي دقيق للمعالم التاريخية الموجودة في مقاطعة قسنطينة (دليل علمي)، وانه لم يغفل عن وصف أحد المعالم الإسلامية –الخارجة عن إطار مهمته– في وقتٍ تغافلت فيه الإدارة الاستعمارية عنه، لكن الإحصاء الذي طُلِب من المفتش انجازه جاء ضمن أهداف الاحتلال وفي إطار السعي للتعرف على الإقليم من اجل التوغل إلى المناطق الداخلية.

نُشر مقاله الرابع في المجلد الثاني من المجلة الأثرية لسنة (1849م)، حيث استأنف "**تيكسييه**" مهامه بعد توقفها بسبب أحداث الثورة الشعبية الفرنسية سنة (1848م)؛ وجاء مقاله بعنوان: "**بريتوريوم لومبيز**" (PRAETORIUM DE LAMBAESA)، وقد خصصه للكتابة عن معلم يقع في مدخل مدينة باتنة في مقاطعة قسنطينة، ووضع له رسم في ملحق الصور في المجلة (لوحة رقم98) [23]، إضافة إلى رفع معماري

(شكل 02) موجود في مركز أرشيف ما وراء البحر بفرنسا. استهله بنفي الفرضيات القائمة حول وظيفته، والمتأرجحة بين معبد روماني[24]، أو مربط للفيلة، وتيقن منذ جولته التفتيشية الأولى للموقع أن كلتا الفرضيتين لا تتناسب مع شكله، خاصة بالنسبة لأولئك الذين هم على دراية بمبادئ عمارة المعابد الرومانية، سيقتنعون أن له وظيفة أخرى. قدم وصف مفصل لشكل المعلم ومقاساته [25]، وواجهته المزينة بأعمدة من الطراز الكورنثي، وكذا الحجارة المستعملة في البناء وطريقة صقلها المتقنة، وتحدث عن حالة جدران المعلم مؤكدًا عدم وجود أي تصدعات أو تشققات في الداخل، ومندهشاً لوجود ثلاثة أعمدة جانبية ذات أطوال غير اعتيادية تمتد من الأرضية إلى غاية حافة الإفريز؛ وفي نهاية مقاله، قدم تفسيرا منطقيا لسبب بناء هذا المعلم أولا من خلال كتابة اسم الإمبراطور باللاتينية في مقدمة الإفريز[26]ومنها استنتج أن المبنى عمومي، مرجحا احتمالية أن تسفر نتائج الحفريات المرجح إقامتها في وسط المبنى بالعثور على صفين من الأعمدة التي تدعم الغرفة الكبيرة المغطاة؛ ثانيا برجوعه إلى العوامل المناخية القاسية في منطقة باتنة (لومبيز)، ما جعل استحالة عقد التجمعات في الهواء الطلق لعدة أشهر من السنة، معتقدًا بان المعلم هو عبارة عن "**البريتوريوم**" الذي تجرى فيه الانتخابات والتعاملات مع الشؤون المدنية للمستعمرة.

آخر ما نشره في المجلة الأثرية سنة (1852م)، قبيل مغادرته منصبه كمفتش عام بحوالي سنة بعنوان: "**الآثار القديمة في بجاية**" (Antiquités de BOUGIE)[27]. وصف المدينة وما تحتويه من معالم أثرية، محترما في ذلك التسلسل الزمني لتعاقب الحضارات الأربعة عليها طيلة عشرين قرناً؛ مستهلا بتحديد موقعها الجغرافي الاستراتيجي على سواحل البحر المتوسط، وجبال الحجر الجيري الصلب المحيطة بها، والصخور البركانية الوعرة التي تقع عليها، مشكلة بذلك مثلث قاعدته هي الميناء البحري، موضحا مكانته التجارية عند الفينيقيين والرومان، ومستدلا بالقبور الفينيقية التي وجدت في ضواحي المدينة، والآثار القائمة للانطوانيين[28] وخلفائهم. عرّج على التطور الذي عرفته المدينة في العصور الوسطى كونها عاصمة إسلامية صغيرة، وركز على الأسبان الذين استولوا عليها، وما خلفوه من آثار تشهد على مدى توسعهم، مشيرا أن البنايات الاسبانية حديثة ولا تجذب انتباه الأثريين؛ دون أن يغفل عن وصف الآثار النوميدية المتمثلة أساسا في قبور صغيرة وأنصاب جنائزية ذات نحت بارز وما تحمله من كتابة فينيقية وأحيانا بونية، إضافة إلى الحجر الناعم الذي صقلت منه؛ في هذا الصدد استنتج المفتش أن الآثار النوميدية تتشابه مع أخرى عثر عليها في منطقة "**أرزيو**"، وهي عبارة عن تيجان أعمدة لمعبد من الطراز الايوني، والتي تتشابه هي الأخرى مع الآثار الآسيوية القديمة، وبهذا الدليل اثبت أن الطراز الأيوني ليس وليد الحضارة الإغريقية، وساعدته الآثار النوميدية في معرفة أصل طراز العمود الايوني.

أسهب في وصف الآثار الرومانية الموجودة في مدينة بجاية، والفائدة التي تقدمها للمعمرين الجدد بما أن غالبيتها عبارة عن آثار عمومية، وبالأخص قنوات جلب المياه والصهاريج وأسوار المدينة، مُفصلاً في كيفية جلب الرومان لمياه الشرب من منبع جبل "**توجة**" الذي يبعد عن المدينة بـ 25 كيلومتر؛ ثم تطرق إلى

الصهاريج المكتشفة يوميا أثناء الحفريات من أجل بناء المنشآت الفرنسية الجديدة؛ كما أشار لوجود معبد صغير ذا فسيفساء أرضية وجدران قائمة بالقرب من البوابات الجنوبية، وعن عدد قليل من أعمدة الجرانيت لكنها ذات نسب جيدة؛ في كتابته عن الآثار القديمة، تحدث عن وجود جدران وأساسات رومانية، مشيرا إلى دقتها وما ترمز له من روعة مبانيها؛ كما تحدث عن المسلمين الذين زادوا من امتداد أسوار المدينة ومسارها الذي يصل إلى عدة كيلومترات. وفي نهاية مقاله، وضع المفتش ترجمة لنسختين من الكتابات الاسبانية، وحسبه لما لهما من أهمية بالنسبة لتاريخ الجزائر لأنهما يتعلقان بـ "**تشارلز الخامس**" أحد أشهر أمراء التاريخ الحديث.

المقال ذو توجهين: الأول يخص استغلال المعالم التي لا تزال قائمة على اختلاف فتراتها التاريخية في مدينة بجاية مثل الأعمدة والأسوار في بناء المرافق العمومية، مركزاً على طرق التزود بالمياه أثناء التواجد الروماني مثل القناطر وقنوات الصرف من اجل تهيئة المدينة تحسباً للمعمرين الجدد؛ أما التوجه الثاني فيخص تجار التحف القديمة ومساهمتهم في إثراء المجموعات المتحفية المحلية، منبهاً إياهم بجسامة ما يمكن استخراجه من آثار فنية تعود لأربعة حضارات مختلفة؛ تجدر الإشارة هنا أن هذا التوجه جاء به اللواء "**بيير بيرثزان**" (PIERRE BERTHEZENE) سنة (1831م) عندما رخص للسيد "**إيسباس**" (ESPES) وتاجر العتيقات "**شيافي**" (SCIAVI) التنقيب عن الأغراض الثمينة لصالحهم الخاص[29]؛ ونلاحظ بعد سنة من هذا المقال للمفتش العام، رسالة وزير الحرب إلى وزير التعليم العمومي بتخصيص منحة تقدر بـ 1800 فرنك فرنسي كمكافأة أو إكرامية لمن يكتشفون القطع الأثرية[30]؛ وتنفيذا لما جاءت به الرسالة، قام المجلس البلدي لمدينة قسنطينة بشراء مجموعة متحفية من صائد الكنوز وجامع التحف القديمة الايطالي "**لازار كوستا**" (LAZARE COSTA)[31] في28 نوفمبر1855[32]، لكن ليس للصالح الخاص كما ورد في ترخيصات التنقيب في بداية الاحتلال، وإنما من اجل إثراء المتحف المحلي في مدينة قسنطينة. وكانت أولى الإجراءات التي اتخذت قبل البدء في عملية الحفظ في المتاحف المحلية هو تشكيل هيئات عديدة لتجميع الآثار القديمة عن طريق شراءها من صائدي الكنوز وجامعي التحف القديمة ثم إرسالها إلى المتحف البلدي القريب منها، أو إلى المخزن المركزي الموجود في مدينة الجزائر.

5. أثر مهمة شارل تكسييه على مصير التراث الأثري الجزائري

في الفترة التي اشتغل فيها "**تيكسييه**" في الجزائر، كان اهتمام وزارة الحرب مُنصبٌ على معرفة المعالم القديمة وموقعها الجغرافي وإمكانية استغلالها في تقدم الجيش أو في خدمته، وبعد انتهاء مهمته سنة (1853م)، أعلن الحاكم العام بالجزائر "**راندون**" (RANDON) في نفس السنة عن استحداث المفتشية العامة للمعالم التاريخية والمتاحف المحلية بقيادة محافظ مكتبة متحف مدينة الجزائر "أدريان بربروغر"[33]، وانتقلت إليه نفس مهام المفتش العام في تفقد المعالم التاريخية وإحصائها، والإبلاغ عن الحفريات والمستكشفات وجمع

التحف والمقتنيات الأثرية، وإرسال تقاريره –ليس لوزير الحرب– إلى الحاكم العام بالجزائر الذي اهتم بتكوين مجموعات متحفية محلية.[34]

بصدد مجابهة التحوير العمراني الذي شهدته الجزائر في العقد الثاني من الاحتلال، فقد سجل "**تيكسييه**" في تقريره إلى وزير الحرب، ملاحظات تُشين التدخلات القمعية على الهندسة المدنية استجابة للاحتياجات القهرية للمستوطنات الجديدة، مثل شق المسالك وتوسيع الطرق، وأدان عمل الإدارة العسكرية ووصفه بالضعيف، لأنها سمحت بتحطيم منازل ذات مجال واسع من الدراسة؛ وأدان أيضا تصرفات المستوطنين الذين يستعملون الآثار كدبش في بناياتهم، ودافع عن آثار الجزائر دون تمييز نمطها (كلاسيكي، مورسكي)، وركز كثيرا على القيمة العلمية والفنية التي تقدمها دراسة المباني المحلية، وعن جودة وجمال الهندسة المورسكية التي تندثر يوما بعد يوم تحت معول التحطيم، ونبه عديد المرات في تقريره إلى آلاف التفاصيل من الزخارف الإسلامية المُلِمَة في جميع مستوياتها، وتحدث عن قيمة هذا النمط بالنسبة للرسامين والمهندسين المعماريين والنحاتين المنشغلين بتاريخ الفن، واقترح استخلاص عوائد الهندسة المحلية عن طريق جمع مخططات البنايات الدينية المتمايزة عن تلك الموجودة في المشرق، وكذا مقاطع المنازل المورسكية المشبعة بالزخارف والآهلة بالزوال، وهندسة الأروقة والسلالم وأقفال الأبواب والصناديق والخزانات، والتلبيس الخشبي، وأيضا التفاصيل الحاضرة في القاعات والزوايا والأضرحة والقباب ذات السمات الفريدة[35].

ودفعت تنبيهاته بالسلطات المسئولة إلى سن منشور[36] – في الوقت الذي كان فيه مفهوم التراث الأثري ينحصر فقط في الفترة الرومانية–يأخذ في الاعتبار المعالم الفنية العربية في العصر الوسيط مثلها مثل المعالم الرومانية التي تمثل الجزء الأكبر من حيث عددها وقيمتها، وأمر محافظ مكتبة متحف مدينة الجزائر "**بربروغر**" بتخصيص قسم لها في المصنف الذي كلفه بإعداده[37]. كما ساهم في تقديم اقتراحات وإرشادات حول ترميم أو إصلاح بعض المعالم الإسلامية بما انه مهندس مدني، مثل التقرير الذي بحوزتنا حول الأشغال التي تم تنفيذها على "**المسجد الكبير**" في شارع البحرية بمدينة الجزائر (الشكل 03) والمتمثلة في:

–إعادة بناء الجدار الشمالي كاملا في فناء المسجد.

–إعادة إصلاح صفين من المقاعد الشمالية على امتداد طولها.

– بناء الجزء الغربي لأحد الصفين من المقاعد.

–تغيير صفين من المقاعد الجنوبية.

–إصلاح قنوات المياه التحتية للمسجد.

–إعادة تسقيف المسجد بالكامل وإعادة بنائه وفق النظام القديم.

–اقترح إلغاء دورات المياه الواقعة في الجهة الشمالية للمسجد باستثناء إحداها في الجهة الجنوبية، وبناء أخرى جديدة مقدراً تكلفتها ب 1500 فرنك فرنسي[38].

من ناحية أخرى، فإن تقارير "**تيكسييه**" بالجزائر إلى الإدارة العسكرية في سبيل تغيير سياستها اتجاه المعالم التاريخية والمواقع الأثرية كان له وَقعٌ مغاير للهدف المقصود في بعض الأحيان، فمثلا اقتراحه استحداث متحف في ساحة "**البريتوريوم**" في "**لومبيز**" في مدينة "باتنة" سنة (1848م) إلى وزير الحرب (الشكل: 04)، ودعاه إلى امتلاك البناية نظرا لأهميتها التاريخية والعلمية، وتكريسها لحماية المعالم القديمة والبقايا الأثرية والكتابات التي تعد بالمئات وكل القطع المنحوتة التي عثروا عليها؛ صحيح أن اقتراح المفتش العام نُفِذ وخصصت ساحة "**البريتوريوم**" لحفظ بعض التحف القديمة، لكن إدارة الاحتلال استغلت هذا التنبيه ووفرة الحجارة المنحوتة في عملية بناء سجن للمنفيين والمتمردين من ثورة "**يونيو1848م**" في فرنسا، وطُلِب من وزارة الحرب الاستعجال في بناءه، ما جعلها تستعين بالمنفيين أنفسهم في بناء المتحف والسجن[39]، وكان من بين البنود التشريعية للقانون الصادر في 24يناير1850 المتعلق بنقل المنفيين هو استغلال الحجارة المتوفرة في عملية بناء السجن، ويعود السبب الرئيسي في اختيار موقع "**لومبيز**" كمنفى هو اتسامه بالقوة وقُربهُ من المعسكر في مدينة "**باتنة**"، وبُعده عن أي منطقة سكانية أو مستوطنة عمرانية، وبالأخص توفره على المواد الأولية للبناء، ضف إلى ذلك، فان المنفيون بمثابة يد عاملة مجانية، تعمل على بناءه دون راتب أو أجور نقدية، والحجارة المصقولة بمثابة محجره جاهزة دون الحاجة إلى جلب مواد البناء من أماكن بعيدة، أو حتى إعادة تهذيبها وتسويتها[40].

خاتمة

لقد أكّدت لنا التقارير العلمية للمفتش العام للمباني المدنية الحالة المزرية التّي آلت إليها مقوّمات التّراث الأثري الجزائري في ظلّ هيمنة الإدارة العسكرية الفرنسية، حيث دافع هذا الأخير على وجهات نظره الموضوعية، الرّامية إلى إرساء دعائم إدارة تقنية وعلمية لتثمين التّراث الأثري الجزائري بمختلف مكوّناته، دون تهميش أو إقصاء رغم إملاءات وزير الحرب عليه؛ واستغلاله، استغلالا امثلا في ظروف أقلّ ما يقال عنها أنّها كانت صعبة للغاية بالنّسبة إليه على خلاف النّظرة الانتقائية للمسئولين العسكريين في هذا المقام، المقتصرة على تثمين آثار الفترة القديمة، وبشكل أخص آثار الاحتلال الرّوماني بالمنطقة فحسب، واستغلالها لأهداف استعمارية بحتة، دون إعارة أدنى اهتمام للآثار الإسلامية، وآثار الممالك المحلّية القديمة، وآثار فترة ما قبل التّاريخ، إذ لم يدخّر جهدا في أداء مهمته النّبيلة بتفانٍ ومهنية عالية أمام إدارة عسكرية متغطرسة، مستأثرة بقراراتها الخاصّة، ولا تؤمن إلاّ بتنفيذ أوامرها فحسب، بعيدا عن إيماءات المدنيين عليها شكلاً وتفصيلاً. علما أنّ موقف هذا الأكاديمي من إدارة التّراث الأثري لا يعكس بالمرّة موقف الإدارة العسكرية الرّسمية بالجزائر المحتلّة، وقد ظلّ موقفه، موقفا شخصيا إنسانيا معزولا، كغيره من الأصوات الفردية، والجمعوية المناهضة للسّياسة الاستعمارية تجاه الآثار الجزائرية.

ملاحق:

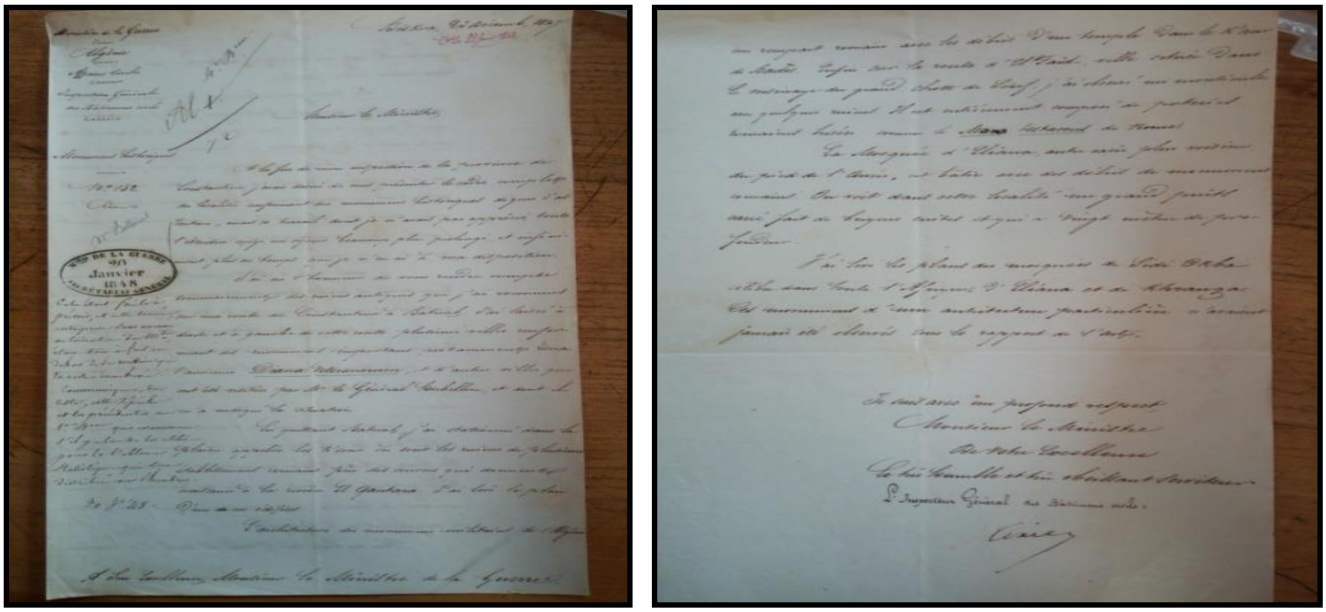

الشكل (01): نسخة للصفحة الأولى والأخيرة من رسالة "**تيكسييه**" إلى وزير الحرب، مؤرخ في مدينة بسكرة، 23 ديسمبر 1847، حول المعالم التاريخية الموجودة على طول الطريق بين مدينة قسنطينة وباتنة إلى غاية القنطرة في مدينة بسكرة أين خصّ مسجد "عقبة بن نافع" برفع معماري معبرا في نهاية رسالته عن روعة هندسته وزخرفته الفريدة والقيِّمة من المنظور الفني؛ المصدر: أرشيف الحكومة العامة بمدينة "**آكس أون بروفونس**"، صورة لم يسبق نشرها للباحثة "**شفيقة بوعرعور**".

الشكل (02): مشروع إعادة تأهيل المعلم التّاريخي "**البريتوريوم**" كمقرّ متحف أثري، إعداد "**تيكسييه**"، الحكومة العامة بمدينة "**آكس أون بروفونس**"، صورة لم يسبق نشرها للباحثة "**شفيقة بوعرعور**".

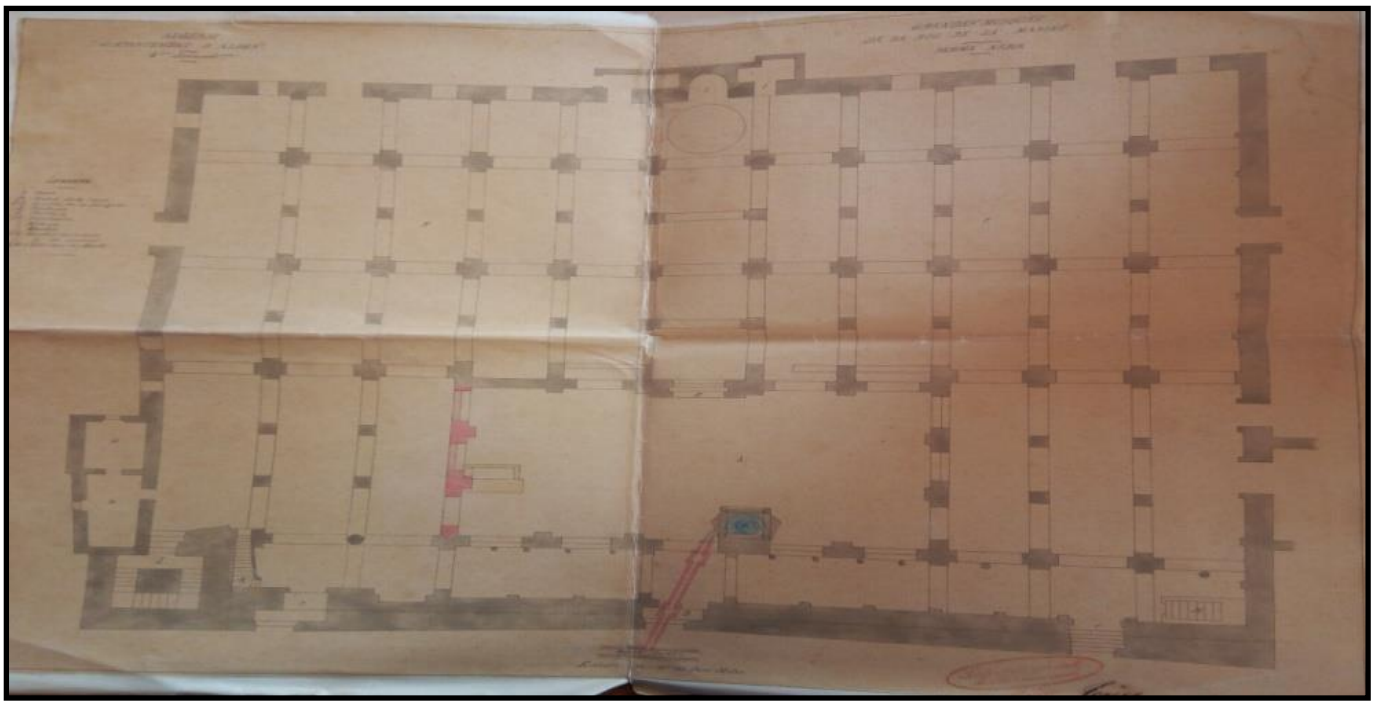

الشكل (03): مخطط ترميم مسجد البحرية (الجامع الكبير) من انجاز "**تيكسييه**"، مؤرخ في مدينة الجزائر العاصمة، 30 نوفمبر 1849؛ المصدر: أرشيف الحكومة العامّة بمدينة "**أكس أون برفانس**"؛ وثيقة لم يسبق نشرها للباحثة "**بوعرعور شفيقة**".

الشكل (04): منظر الواجهة الرّئيسية لمعلم "**البريتوريوم**"، مقرّ إقامة قائد الفرقة العسكرية الأغسطسية المساعدة الثّالثة من الجيش الرّوماني بشمال إفريقيا في معسكر "**لومبيز**" الأثرية، ساعة تحوّيله إلى متحف، نقلا عن: "**سيرُو جورج**"

الهوامش:

1- تأسست هذه الجمعية سنة (1824م) على يد المؤرخ وعالم الآثار "**أرسيس دو كومون**" (ARCISSEDE CAUMONT) (1801-1873م) تحت اسم "**الجمعية الفرنسية لحفظ وجرد المعالم التّاريخية**" بإقليم "نورموندیا" وبعد تقلد السيد "**فرانسوا غيزو**" (FRANÇOIS GUIZOT) منصب وزير الداخلية سنة (1830م) تم ترقيتها إلى مصاف جمعية وطنية سنة (1834م) باسم "**الجمعية الفرنسية للآثار**"، مكلفة بدراسة، وحفظ المعالم التاريخية والمواقع الأثرية.

2-OULEBSIR (N) (2004), Les usages du patrimoine; Monuments- mussées et politique coloniale en Algérie (1830 – 1930)- éditions de la Maison des sciences de l'homme, Paris, p 343- colonne 1.

3-HAMIAUX (M) (1988), «Les Éléments d'architecture de Magnésie du Méandre conservés Au Musée du Louvre», In: Revue Archéologique, Nouvelle Série, Fasc.1, pp 83-108.

4-OULEBSIR, Op.Cit. p 343 colonne 1.

5 -رئيس المجلس في البلاط الإمبراطوري في مدينة ليون بفرنسا، وعضوّ الجمعية الفرنسية للآثار، تم تنصيبه كمحامٍ في البلاط الملكي بمدينة الجزائر، ينظر:

Revue Généalogique Normand, 7e année, 4e trimestre, N° 281988, p 258.

6-عرفت الجزائر خلال السّبعين (70) عامًا الأولى من الاحتلال الفرنسي (1830-1900م)، ما لا يقلّ عن عشرة نُظُم إدارية وسياسية متتالية، تباينت فيما بينها؛ حيث أُعْتُبِرت في بادئ الأمر بمثابة "إقليم محتلّ"(TERRITOIRE OCCUPE)، وذلك في الفترة الممتدّة ما بين سنتيْ (1830-1834)م؛ ثمّ "ملكية فرنسية" (POSSESSION FRANÇAISE) بين سنتي (1834- 1848م)؛ ثمّ "عَمَلات فرنسية وراء البحر" (DEPARTEMENTS D'OUTER-MER) (أي عمالة قسنطينة في الشّرق، وعمالة مدينة الجزائر في الوسط، وعمالة وهران في الغرب مع تخصيص كلّ عمالة منها بنائبيْن مُنتخبيْن في البرلمان الفرنسي بباريس، ابتداءً من السّنة الموالية 1849م)، وقد درج العمل على ذلك النّحو طيلة عِقْدٍ كاملٍ، أي طيلة الفترة الزّمنية الممتدّة ما بين سنتيْ (1848-1858م)؛ ثمّ "**مستعمرة فرنسية**" (COLONIE FRANÇAISE) بين سنتي (1858-1860م)، وبها ينتهي عهد محاولات الإدماج الفاشلة، وبداية عَهْد "**سياسة الانفصال**"، أو "**الحكم الذّاتي**" بمسميات أخرى، بدءً بمشروع "**المملكة العربية**" (ROYAUME ARABE) بين سنتيْ (1860-1870م)، الخارج عن نطاق الإطار الزّمني المحدد لهذا البحث، أكثر تفاصيل ينظر على سبيل المثال الأطروحة الجامعية الآتية:

DAILHEU (E) (1901), Le gouvernement politique de l'Algérie, Thèse de doctorat, Faculté de Droit, Université de Paris, Imprimeries CERF Versailles, pp 6 – 7- 25.

7- Bulletin Monumental, 1841, Tom VII, p 297.

8- OULEBSIR, Op.Cit. p 95 colonne 2.

9- بناءً على المؤشرات الأوّلية، الواردة في تقارير أفراد الجيش الفرنسي حول وجود نقوش مسيحية، وبقايا رومانية كثيرة، قرر وزير الحرب "دوق دلماسيا" (DUC DE DALMATIE) إرفاق القوّات العسكرية الفرنسية المقيمة في الجزائر بحملة استكشاف علمي شامل على نسق حملة بونابرت على مصر من قبل، حيث طلب مساهمة أكاديمية الكتابات والآداب الجميلة في رسالة إلى أمينها العام البارون "**والكناير**" (WALCKENAER) بتاريخ 18نوفمبر1833، مبيّنا فيها الفوائد الجمّة التي سيقدمها التعاون المشترك بين الطّرفين في هذا المقام بخصوص معرفة جغرافية الجزائر وتاريخها في فترة الحضارة الرومانية القديمة. وقد تنامى الاتجاه المنادي بضرورة البحث في تاريخ المستعمرة مع حركة إلحاح شديدة دعمت برؤى تاريخية حاولت فرض واقع وتاريخ جديد للمستعمرة، من خلال عملية جرد وإحصاء شامل للآثار القديمة، في نسق ربط الجزائر الفرنسية بإفريقيا الرومانية. إذ اهتمت "**لجنة الاستكشاف العلمي**" بدراسة النظم الاجتماعية والثقافية، والبحث في الموروث التاريخي والحضاري، فتلازم النشاط العلمي مع غزوّ عسكري كاسح للأرض عن طريق الاستيطان الذي ارتبط نجاحه باستحضار النظام الاستعماري للغزاة القدامى، وتحديد مناطق استيطانهم (الرّومان)، وقد تولى المهندس رافوازيي مجال الهندسة المعمارية، فيما عين النقيب دولامار (DELAMARE) كملحق بالبحث في مجال الآثار، كما تلت مرحلة الاستكشاف عملية تثمين للمستعمرة الجديدة من خلال استحداث مجلات علمية (المجلة الأثرية بقسنطينة، المجلة الإفريقية) ومدارس تحضيرية مثل مدرسة الطب سنة (1851م)، للمزيد من التفاصيل حول لجنة الاستكشاف العلمي بالجزائر، ينظر:

MONIQUE DONDIN PAYRE (1995), «La commission d'exploration scientifique d'Algérie Une héritière méconnue de la commission d'Égypte», In: Mémoires de l'AIBL, Tome 14- Paris.
10-OULEBSIR, Op.Cit. p 98 colonne 1.
11-Tableau de la situation des établissements Français dans l'Algérie (1845-1846)، imprimerie royale, Paris, 1847, p 120.
12-MENERVILLE (1867), Dictionnaire de la législation algérienne- code annoté et manuel raisonné des lois, publiés au Bulletin officiel des actes du gouvernement, Premier volume (1830-1860), Alger, Paris, p 650.
13-MENERVILLE, Op.Cit. p 650.
14-REVUE ARCHEOLOGIQUE (1847), recueil de documents et de mémoires relatifs a l'étude des Monuments et a la philologie de l'antiquité et du moyen âge publiés par les principaux Archéologues français et étrangers, seconde partie, du 15 octobre 1846 au 15 mars 1847, A. LELEUX- libraire-éditeur, Paris, p 724 ; MENERVILLE- Op.cit., p 650.

15- يوجد الكثير من التقارير في مركز أرشيف ما وراء البحر باكس اون بروفنس (فرنسا) فيها اقتراحات المفتش العام "تيكسييه" حول مشاريع الترميم والإصلاح على المعالم الإسلامية.

16-OULEBSIR, Op.Cit. p 98- colonne 2.

17 -التقارير التي يرسلها المفتش العام للمباني المدنية لوزير الحرب قام بتمحيص بعضها ونشرها في "**المجلة الأثرية**".

18-Revue archéologique (1847) ou recueil de documents et de mémoires relatifs à l'étude des monuments età la philologie de l'antiquité et du moyen âge publiés par les principaux archéologues français et étrangers, première partie, 15 octobre 1846 au 15 mars 1847,A. LELEUX libraire-éditeur, Paris, pp 724-735.
19-Revue archéologique (1847) ou recueil de documents et de mémoires relatifs à l'étude des monuments et à la philologie de l'antiquité et du moyen âge publiés par les principaux archéologues français et étrangers, première partie, 15 octobre 1846 au 15 mars 1847,A. LELEUX libraire, éditeur, Paris, p 764.
20-Bâtiments civils, Organisation, personnel- 1842-1850- « Rapport du 18 Février 1848 présenté à son excellence le ministre de la guerre »- », In: Archives du gouvernement général de l'Algérie (GGA)- conservées au Centre des Archives d'Outre-mer (CAOM)- Aix-en-Provence France- Boite F80 1254 ;Revue archéologique (1848), ou recueil de documents et de mémoires relatifs à l'étude des monuments et à la philologie de l'antiquité et du moyen âge publiés par les principaux archéologues français et étrangers, première partie- 15avril au 15 septembre 1848, A. LELEUX, libraire-éditeur, Paris, pp 129-135.

21 -مهمة إحصاء المعالم التاريخية التي قام بها المفتش العام "شارل تيكسييه" تدخل ضمن مهامه المكلف بها من طرف وزير الحرب، لكن اقتراح التصنيف جاء به المفتش العام "**تيكسييه**" إلى وزير الحرب في رسالة مؤرخة في 3ديسمبر1847 رقم (149) "**اقترح القيام بعمل تصنيف**" وهذا ما جاء به التقرير.

22-Dossier Antiquités Algériennes, TIXIER (C), «Rapport du 20 Septembre 1847 présenté à son excellence le ministre de La guerre», In: Archives du gouvernement général de l'Algérie (GGA),conservées au Centre des Archives d'Outre-mer (CAOM)- Aix-en-Provence France, Boite 2N75.
23 -Revue archéologique (1849), ou recueil de documents et de mémoires relatifs à l'étude des monuments, à la numismatique et à la philologie de l'antiquité et du moyen âge publiés par les principaux archéologues français et étrangers, deuxième partie, 15octobre1848 au 15mars1849, A. LELEUX, libraire-éditeur Paris, pp 417-418.

24 -صاحب هذه الفرضية هو النقيب "**ادولف دولامار**" في مقال نشره في المجلد الثاني من المجلة الأثرية لسنة (1848م) بعنوان "**مذكرة حول لومبيز Notice sur LAMBAESA**".

25 -شكل المعلم رباعي، طوله 27.69متر، وعرضه 19.88متر، وجدرانه بسمك 01متر، له ثلاثة أبواب رئيسية، الأوسط بعرض 7.40متر، والآخران بعرض 2.20متر، مفاتيحها مزينة بحوريات تحمل أوراق نخيل؛ وأربعة أبواب ثانوية موضوعة بشكل غير منتظم أكبرها بعرض 7.14متر، ومفاتيحها مزينة بأيدي تحمل تيجان، وتتوسط المعلم نافذة بعرض 3 متر.

26–رغم تدمير الكتابة بفعل الحريق الذي نشب في المكان إلا أن الحروف IMP….COS لا تزال ظاهرة للعيان.

27-Revue archéologique (1852) ou recueil de documents et de mémoires relatifs à l'étude des monuments- à la numismatique et à la philologie de l'antiquité et du moyen âge publiés par les principaux archéologues français et étrangers, deuxième partie, 15octobre1851au 15mars1852, A. LELEUX-libraire-éditeur Paris, pp 574-576.

28 –الانطوانيين هم السلالة النيرفية الأنطونية تتكون من ستة أباطرة الرومان، الذين حكموا الإمبراطورية الرومانية على مدى ما يقرب من القرن الثاني الجامع (96—192م).

29-Collection des actes du Gouvernement depuis l'occupation d'Alger: jusqu'au 1er octobre 1834, tome I-N° 116, Paris, 1843, pp 155-156; OULEBSIR (N) (2004)، Les usages du patrimoine; Monuments-mussées et politique coloniale en Algérie (1830 – 1930)، éditions de la Maison des sciences de l'homme, Paris, pp 12- 94 - 95.

30-OULEBSIR, Op.Cit. p 108- marge 3.

31 –هذا الهاوي الذي أقام في مدينة قسنطينة كان يتتبع الحفريات الأثرية ورشات البناء ومشاريع الأشغال العمومية في مدة لا تقل عن 10سنوات، وقام بتجميع مجموعة متحفية محلية، بما فيها العديد من العملات النقدية والتحف التي تنتمي إلى الحضارة البونية والنوميدية والرومانية؛ جمع حوالي 500ميدالية رومانية (قطع رومانية)، 1000ميدالية رومانية أو افريقية من البرونز، 1300 تحفة من معادن مختلفة (الحديد، الزجاج، الطين المحروق، فسيفساء)، وأطلق عليها اسم"**خزانة الآثار القديمة الإفريقية**"، وشرح "**كوستا**" في رسالته إلى وزير الحرب أنماط خزانته وفترات انتمائها التاريخي، مشيراً إلى مميزاتها التراثية، وقيمتها المادية في التعريف بتاريخ الجزائر المجهول؛ وقد ساهمت هذه المجموعة في إثراء المتحف المحلي في مدينة قسنطينة.

32-Dossier recherches d'objets précieux- Fonds ministériels, F80.1587: Sciences et arts; Archéologie-histoire- musées, voyages, 1831 – 1859, In: Archives du gouvernement général de l'Algérie (GGA), conservées au Centre des Archives d'Outre-mer (CAOM), Aix-en-Provence, France.

33–الوظيفة تستلزم من المحافظ القيام بجولات مرة واحدة في السنة أثناء العطلة، والوقت الذي لا يشتغل فيه كمحافظ مكتبة متحف مدينة الجزائر يقوم بزيارة المتاحف الناشئة أو التي في طور الإنشاء، بالمقابل عليه تكوين مصنف مفصل لمحتوى كل متحف محلي ما يسمح بمعرفة كمية وقيمة الثروة الأثرية في الجزائر.

34-OULEBSIR, Op.cit., p 108- colonne 1.

35-Dossier Antiquités Algériennes- TIXIER (C), «Rapport du 20 Septembre 1847 présenté à son excellence le ministre de La guerre», In: Archives du gouvernement général de l'Algérie (GGA), conservées au Centre des Archives d'Outre-mer (CAOM), Aix-en-Provence, France, Boite 2N75.

36 –منشور 15نوفمبر1854 من الحاكم العام بالجزائر "**روندن RANDON**" موجه إلى الضباط والقادة العسكريين والرؤساء الفرعيين ومحافظي المقاطعات من أجل إعداد مصنف عام للآثار القديمة الجزائرية.

37-OULEBSIR, Op.Cit. p 108- colonne1.

38 -Edifices du culte musulman : Département d'Alger- Grande Mosquée, (1836-1859) (plans), TIXIER (C), «Rapport du 30Novembre 1847 présenté à son excellence le ministre de La guerre», In: Archives du gouvernement général de l'Algérie (GGA), conservées au Centre des Archives d'Outre-mer (CAOM), Aix-en-Provence, France, Boite 2N58.

39-BULLETIN OFFICIEL DES ACTES DU GOUVERNEMENT (1851)، imprimerie de gouvernement, Alger, 1854, p 1 ; TABLEAU DES ETABLISSEMENTS FRANÇAIS DANS L'ALGERIE (1846-1849), Paris, p 220.

40-MONIQUE DONDIN PAYRE (2000)، l'armée d'Afrique face à l'Algérie romaine enjeux idéologiques et contraintes pratiques d'une œuvre scientifique au XIXe siècle, L'Africa romana-atti del 13 conegno di studio- djerba, 10-13 decembre 1998 a cura di mustapha khanoussi, paola ruggeri e cinzia vismara, Rome, p731.